مجلة الحكمة للدراسات التاريخية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد 10 / العـدد: 2 (2022)، ص : 62- 76

المقاومة الثقافية من خلال شعر الأمير عبد القادر

الدكتورة: شيخي خديجة[1]
[1]جامعة الجزائر2- الجزائر

تاريخ الاستلام: 2022/03/31 تاريخ القبول: 07 /2022/05 تاريخ النشر: 2022/06/01

الملخص:

إن الأمير عبد القادر الجزائري كان صاحب سيف وقلم، فقد صنفه الأستاذ حسن السندوبي في سنة 1914 في كتاب له بِعنوان (أعيان البيان من صبح القرن الثالث عشر هجري إلى اليوم) على أنه أحد الأعيان في البيان فقد قال عنه:" فبطل الجزائر، وإن كان من أرباب السيف، فقد كان أخا القلم، لا يغمد أحدهما حتى يُجرد صاحبه، فيبري بالأول الرؤوس والمهام، ويبرئ بالثاني النفوس من سقام الأوهام".

ولقد نظم الأمير عبد القادر شعراً في شبابه ضاع معظمه لسببين على الأقل هما:

إنهماك الأمير في بناء دولته الفتيّة وحربه ضد المستعمر الفرنسي من جهة، واستيلاء العدو على مكتبة بيته في مدينة" الزمالة" التي أودع فيها مذكراته الخاصة، وربما بعض أشعاره من جهة ثانية. ويؤيد تفسيرنا هذا قول إبنه محمد جامع ديوان "نزهة الخاطر في قريض الأمير عبد القادر"

"و هذا آخر ما عثرت يدي عليه من معظمه حيث أنه لم يعتن بجمعه أيام الحياة، و لذا أعجزني جمع بعضه، و أكثره قد حل به الشتات".

يقع ديوان النزهة المذكور في ثمان وخمسون صفحة...ونحن من خلال هذا المقال سنتطرق إلى شعر الأمير عبد القادر بشكل عام ونعرض نماذج منه، ثم نعرّج على شعر الأمير الذي قاوم من خلاله المستعمر الفرنسي مقاومة ثقافية.

الكلمات المفتاحية: المقاومة الثقافية - شعر الأمير عبد القادر- الأمير عبد القادر.

Summary:

Amir or Prince Abdelkader Al-Jazaery was a combatant with a sword and a pen. Professor Hassan Al-Sandoubi classified him in the year 1941 in his book entitled "Ayn al-Bayan from the morning of the thirteenth century AH to the present day" as one of the notables in Eloquence. He said about him: "The hero of Algeria, even if he was one of the masters of the sword, he was also brilliant writer, neither one of them is covered until he strikes his owner, so he acquires the heads and tasks in the first, and in the second he absolves the souls of the sickness of delusions".

Prince Abdelkader composed poetry in his youth, most of which was lost for at least two reasons:

The prince's involvement in building his young state and his war against the French colonialist on the one hand, and the enemy's seizure of his home library in the city of "Zamala", in which he deposited his own memoirs, and perhaps some of his poems on the other hand. Our interpretation supports this saying of his son, Mohamed collector of poetical works "Diwan": "Nozhat al-Khater in Qureid al-Amir Abdelkader" and this is the last thing I found on most of it, as he did not take care of collecting it during the days of life, and therefore I am unable to collect some of it, and most of it has been dispersed.

The aforementioned Diwan "Nozhat" is composed of fifty-eight pages..... Through this article we will deal with the poetry of Amir Abdelkader in general and show examples of it, then we turn to the poetry of Prince Abdelkader, through which the French colonialist resisted cultural resistance.

Key words: Cultural resistance, the poetry of Prince Abdelkader, Prince Abdelkader.

المؤلف المرسل: الدكتورة شيخي خديجة

1- شعر الأمير عبد القادر: لقد نظم الأمير عبد القادر شعرا في شبابه ضاع معظمه لسببين على الأقل هما: انهماك الأمير في بناء دولته الفتية وحرية ضد المستعمر الفرنسي من جهة، واستيلاء العدو على مكتبة بيته في مدينة "الزمالة" التي أودع فيها مذكراته الخاصة، وربما بعض أشعاره من جهة ثانية.

ويؤيد تفسيرنا هذا قول ابنه محمد جامع ديوان "نزهة الخاطر في قريض الأمير عبد القادر" "وهذا آخر ما عثرت يدي عليه من معظمه، حيث أنه لم يعتن بجمعه أيام الحياة، ولذا أعجزني جمع بعضه، وأكثره قد حل به الشتات".

يقع ديوان النزهة المذكور، في ثمان وخمسون صفحة، اقتصرت الأولى منها على ذكر عنوان الديوان واسم المطبعة التي قامت بطباعته، وابتدأت الصفحة الثانية بالبسملة فالحمد فالصلاة على رسول الله تبع ذلك مقدمة جامع للديوان التي لم تتجاوز بضعة أسطر قال فيها: "قد سنح بفكري أن أرتب ما عثرت عليه يدي من كلام سيدي ومولاي ناصر الدين الأمير عبد القادر بن محي الدين ولم أتعرض لذكر ما له من النظم في الحقيقة، واللطائف، حيث أنه أثبتها في كتابه المسمى بالمواقف".

المعروف أن معظم قريض الأمير في الحقيقة واللطائف جاء في الشطر الثاني من حياته، حيث ألف كتاب "المواقف" فيكون قد جمعه وأثبته في الكتاب، وقول ابنه هذا يكرس الضياع في فترة شبابه التي أمضاها في وطنه يبني الدولة ويحارب الاستعمار، لا في "أيام حياته" بالمعنى الواسع، الذي ورد في قوله السابق "لم يعتن بجمعه في حياته". وهكذا يستقيم لنا الرأي في أن الضياع وقع فيما نظمه أثناء شبابه، وبالذات في حياته السيفية، أما فترة الأربع سنوات التي عاشها في المنفى،

على قصرها زمنيا بالقياس إلى حياته، فالأرجح أنه كان يدون ما نظمه فيها، لتوفر أسباب التدوين لديه[1].

وفيما سنذكر قصائد الأمير عبد القادر حتى نتعرف على شعره:

كان الأمير على صلة متينة مع علماء المشرق العربي وأدبائه، طيلة الشطر الثاني من حياته، وهو الذي قضاه في مدينة دمشق، وقد أهدى الديار الدمشقية السيد محمود الحمزاوي كتابا ألفه في علوم الفقه و التفسير، فنال إعجاب الأمير ونظم فيه المقطوعة التالية:

سرح سوادك، والطرود سماء ما للسمالك، لدى العروس علاء حمدا
للمهم أوحد العلماء محمود، علوما مالها إحصاء
هو أعلم العلماء، وأحد عصره هو، طود سر هدى له إهداء
وهو الإمام، وأهل كل محامد ما دعد ما علوي، وما أسماء
أهدي الورى السحر الحلال وكم له همم، لها دوما على وولاء
لله ما أحلى، وأملح موردا ومحامدا، لعلومها إملاء
والله ودهم، وأعطاهم حمى سرا علاه، للسماك سماء
لله ما أحلى، وأملح موردا أهداه، وهو إلى الهموم دواء[2]

في التاسع والعشرين من شهر مايو (أيار) سنة ألف وثمانمائة واثنين وثلاثين، جهز السيد محي الدين والد الأمير سرية للقاء العدو في وهران، فأرسل عبد القادر بن زيان لاستكشاف القوات المعادية، فوجدها تعسكر في ساحة المدينة، بالموضع المعروف "بخنق النطاح"، وأتى بالأخبار إلى السيد محي الدين، فجمع الناس وسار بهم إلى مكان يطل على العدو، وبات المسلمون يوقدون النار على التلال، حتى كانت صبيحة اليوم التالي، فزحف كل من الفريقين باتجاه

[1] زكريا صيام ، ديوان الأمير عبد القادر ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، لم تذكر سنة النشر ، ص 59-60 .

[2]-زكرياء صيام ، مرجع سبق ذكره ، ص 95-96 .

الآخر، ودارت بينهما رحى الحرب الشديدة، واستبسل جيش المسلمين وكان الأمير واحدا من فرسان تلك المعركة، وقد حصل عليه فارس من الأعداء برمح مر في خلو إبطه الأيسر، فشد عليه بعضده وهو على الفرس، فقده بسيفه نصفين، وما أن تولى نهار ذلك اليوم حتى وقعت الهزيمة في صفوف الأعداء وتحقق النصر للمسلمين وامتلأت أيديهم بالغنائم. وقد تركت هذه المعركة أثرا كبيرا في نفوس المسلمين عامة وفي نفس الأمير خاصة فنظم المقصورة التالية:

توسد بمهد الأمن، قد مرت النوى ... وزال لغوب السير، من مشهد النوى

وعر جيادا، حادا بالنفس كرها ... وقد أشرفت –مما عراها- على التوى

ألا، كم جرت طلقا بنا تحت غيهب ... وخاضت بحار الال، من شدة الجوى

وكم من مفازات يضل بها القطا ... قطعت بها، والذئب من هولها عوى

وقد أصبحت مثل القسى ضوامرا ... وتلك سهام للعدى، وقعها شوى

إلى أن بدت نيران أعلامنا لها ... وفي ضوء نيران الكرام، لها صوى

ولا سيما أهل السيادة مثلنا ... بنو الشرف المحض المصون عن الهوى

فقالت أيا ابن الراشدي لك الهنا ... كفى فاترك التسيار وأحمد وجى النوى[3]

ألا يابن خلّادٍ تطاولتَ للعلى ... وبايَنت مأواك الكريمَ وما حوى

فمن أجل ذا ، قد شدّ في ربعنا لها ... عقال ونادينا لك العزّ قد نوى

وحل بكهفٍ لا يرام جنابه ... فمن حل فيه ، مثل من حل في طوى

فأنا أكاليل الهداية و العلى ... ومن نشر علياها ذوي المجد قد طوى

فنحن لنا دين ودنيا تجمّعا ... ولا فخر إلا ما لنا يرفع اللواء

مناقب مختاريّة قادريّة ... تسامت وعباسيّة مجدها احتوى

فإن شئت علماً تلقني خير عالمٍ ... وفي الروع أخباري غدت توهن القوى

---

[3]- زكريا صيام، ديوان الأمير عبد القادر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، لم يذكر مكان النشر، ص -99-101.

لنا سفنٌ بحر الحديث بها جرى ... وخاضت فطاب الورد ممن بها ارتوى

وإن رمت فقه الأصبحيّ فعج على ... مجالسنا تشهد لواء العنا دوا

وإن شئت نحواً فانحنا تلق ما له ... غدا يذعن البصريّ زهداً بها روى

ونحن سقينا البيضَ في كل معركٍ ... دماء العدا والسمر أسعرت الجوى

ألم ترَ في خنق النطاح نطاحنا ... غداة التقينا كم شجاعٍ لهم لوى

وكم هامةٍ ذاك النهار قددتها ... بحدّ حسامي والقنا طعنه شوى

وأشقر تحتي كلمته رماحهم ... ثمان ولم يشك الجوى بل وما التوى

بيوم قضى نحبا أخي فارتقى إلى ... جنان له فيها نبيّ الرضا أوى

فما ارتد من وقع السهام عنانه ... إلى أن أتاه الفوز راغم من غوى

ومن بينهم حمّلته حين قد قضى ... وكم رميةٍ كالنجم من أفقه هوى

ويوم قضى تحتي جوادٌ برميةٍ ... وبي أحدقوا لولا أولو البأس والقوى

وأسيافنا قد جرّدت من جفونها ... وردت إليها بعد ورد وقد روى

ولما بدا قرني بيمناه حربة ... وكفّي بها نارٌ بها الكبش قد شوى

فأيقن أني قابض الروح فانكفا ... بولي فوافاه حسامي مذ هوى

شددتُ عليه شدّةً هاشمية ... وقد وردوا ورد المنايا على الغوى

نزلت ببرج العين نزلة ضيغم ... فزادوا بها حزناً وعمّهم الجوى

وما زلت أرميهم بكل مهنّد ... وكلّ جوادٍ همّه الكرّ لا الشوى

وذا دأبنا فيه حياة لديننا ... وروح جهادٍ بعد ما غصنه ذوى[4]

جزى اللّه عنا كلّ شهمٍ غدت به ... غريس لها فضلٌ أتانا وما انزوى

فكم أضرموا نار الوغى بالظبا معي ... وصالوا وجالوا والقلوب لها اشتوا

وإنّا بنو الحرب العوان لنا بها ... سرورٌ إذا قامت وشانئنا عوى

لذاك عروس الملك كانت خطيبتي ... كفجأة موسى بالنبوّة في طوى

[4] زكريا صيام ، مرجع سابق ، ص106-107.

وقد علمتني خيرَ كف لوصلها وكم رُدَّ عنها خاطبٌ بالهوى هوى
فواصلتها بكراً لديّ تبرّجت ولي أذعنت والمعتدي بالنوى ثوى
وقد سرت فيهم سيرة عمريّة وأسقيت ظاميها الهداية فارتوى
وإني لأرجو أن أكون أنا الذي ينير الدياجي بالسنا بعد ما لوى
بجاهِ ختامِ المرسلين محمّدٍ أجلّ نبيّ كلّ مكرمةٍ حوى
عليه صلاة اللّه ثم سلامه وآل ، وصحبٍ ما سرى الركب للوى
وما قال بعد السير والجدّ منشدٌ توسّد بمهد الأمن قد مرّت النوى[5]

ليس بدعا –حسب زكرياء صيام- أن ترى حرص الأمير على حمد الله وشكره في أبيات طال عددها أو قصر، فقد كانت عادة لديه أن يستهل أعماله النثرية ورسائله الإخوانية والرسمية بالبسملة والحمدلة وأن يختتمها بذكر الله والصلاة على رسوله، وامتدت تلك الظاهرة إلى مواضع كثيرة من شعره، يقول:

الحمد لله الذي قد خصني بصفات كل الناس، لا النسناس
الجود و العلم النفيس وإنني لأنا الصبور لدى اشتداد الباس
وتحدثي: شكرا لنعمة خالقي إذا كان في ضمني جميع الناس

نظم الشاعر قصيدته هذه، في التصوف، متناولا فيها بعض الآراء لديه نحو وحدة الوجود، ومذكرا بأحوال يوم القيامة وأهوال ساعة الحساب.

أمطنا الحجاب: فانمحا غيهب السوى وزال أنا وأنت وهو، فلا لبس
ولم يبق غيرنا، وما كان غيرنا أنا الساقي والمسقي والخمر والكأس
تجمعت الأضداد في وإنني أنا الواحد الكثير، والنوع والجنس
فلا تحتجب بما ترى، متكثرا فما هو إلا شخصنا النزه القدس
فما كنت ناظرا بنا، أنت ناظر إلينا، وإلا أنت أعمى به طمس
هو الدين توحيدي، فلا تحسبن غيري يوحدني، غيري هو الشرك والرجس

[5]- زكريا صيام ، مرجع سابق ، ص108-109.

فما دمت غيرنا، فأنت شريكنا وهل ثم، غير يا بليد به هوس
ففارق وجود النفس، تظفر بالمنى وزايل ضلال العقل، إذ أنه الحبس
وما توحيدي المقبول قولا، وإنه لفعل، فلا يغررك جن ولا إنس
وما هو إلا أن تصير إلى الفنا وتصعق، ليس ثم روح ولا حس[6]
تشاهد أهوال القيامة جهرة تهيأ لك الأكفان والغسل والرمس
هناك تصير موقفنا وموحدا وتعرف ما هي الذنابة والرأس
ويفنى الذي قد كان من قبل فانيا ويبقى الذي لازال قبل، هو الاس
فإن كنت ذا، فأنت ذا الملك الذي له عنت الوجوه، أصواتها همس

وبينما كان الأمير وأهل المدينة (بروسة) في أرغد عيش إذ نزلت بهم طامة الزلزال، واستولى الخدم والحريق على البيوت والمساجد والأسواق، ولما تفاقم الأمر وتتابعت الهزات قرر الانتقال إلى مدينة دمشق واتخاذها مقرا له ولأهله، وقد عز عليه فراق المدينة وأهلها، فكتب هذه القصيدة يبث فيها حنينه ويسجل وفاءه لمدينة احتضنته ما يقرب من ثلاث سنوات فقال:

أبى القلب أن ينسى المعاهد من برسا وحبي لها بين الجوانح قد أرسى
أكلّفه سلوانها وهو مغرمٌ فهيهات أن يسلو وهيهات أن ينسى
تباعدت عنها ويح قلبي بعدها وخلّفتها والقلب خلفي بها أمسي
بلادٌ لها فضلٌ على كلّ بلدة سوى من يشد الزائرون لها الحلسا
فما جازها فضلٌ ولا حل دونها سواها نجومٌ وهي أحسبها شمسا
عليّ محالٌ بلدةً غيرها أرى بها الدين والدنيا طهوراً ولا نجسا
وجامعها المشهور لم يك مثله به العلم مغروسٌ به كم ترى درسا
وسلطانها أعني الأمير رئيسها به افتخرت برسا فأعظم به رأسا[7]

[6]- زكريا صيام ، مرجع سابق ، ص 215-216.
[7]- زكريا صيام ، مرجع سابق ، ص 218-219 .

ومنزله الأعلى حكى لي روضةً به الفخر قد أمسى به الفضل قد أرسى
بها آل عثمان الجهابذة الألى أشادوا منار الدين وابتذلوا النفسا
ليبكهم للدين من كان باكيا فما شام هذا الدين في عصرهم نحسا
فكم عالم فيهم وكم من مجاهدٍ وكم من ولي قد تخيّرها رمسا
ألا ليت شعري هل أحل رياضها وبنار باش هل أطيب به نفسا
فيصبو بها في العيد من ليس صابيا ويفرح محزون الفؤاد ولا يأسى
وكيف بكركة بعدنا وقصورها تراها الثريا إذ توسطت القوسا
ومن تحتها نهر جرى متدفّقاً يشابه ثعباناً وقد خشي الحسا
فهبني أسلو أرضها بتكلف فلست بسالٍ للأهالي ولا أنسى
ومن أجلهم حبّي لها وتشوّقي وإن غلاء الدار بالجار قد أمسى
أناس بهم أهلي سلوت وبلدتي وفي كل آن قد رأى ناظري أنسا
وفارقت أهلي مذ تجمع شملنا وأمنت لا غما أخاف ولا نكسا
مكارم أخلاقٍ وحسن شمائل وليس طباع واللطافة لا تنسى
سقى الله فيا رحمةً وكرامةً أراض بها حلّ الأحبةُ من برسا....[8]

وقدم العالم الجليل محمد الشاذلي القسنطيني إلى فرنسا ليكون مؤنسا للأمير في أسره "بأمبواز" فما أن شاهده الأمير حتى غمرت قلبه فرحة عارمة، وانطلق لسانه مرحبا بمقدم الشاذلي فقال:

أهلا وسهلاً بالحبيب القادم هذا النهار لدى خير مواسم
جاء السرور مصاحبا لقدومه وانشراح ما قد كان قبل ملازمي
أفديك بالنفس النفيسة زائراً من غير ما منٍّ ولستُ بنادم
طالت مسائلتي الركاب تشوّقاً لجمال رؤية وجهك المتعاظم
لا غرو إن أحببتكم من قبل ما شاهدتكم أنتم جمال العالم

[8]- زكريا صيام ، مرجع سابق ، ص ،

كانت على سمعي تغار نواظري حتى رأيتك أنت أنتَ مكالمي
عندي الأيادي البيض حيث أريتني ما كان قبلاً في يقين العالم
والآن صرت من اليقين بحقّه وبعينه إن السرور منادمي
أسميّ قطب العارفين لك لعلا متبوّئاً منه أجلّ معالم
أنت الذي في الفضل أصبح مفرداً لعلاه ما من مدّعٍ ومزاحم
لا زلت ميمون النقيبة طالعا بالسعد ذا فضلٌ وخدن مكارم[9]

2- المقاومة الثقافية من خلال شعر الأمير عبد القادر:

قال الدكتور زكريا صيام: "إن عظماء الرجال لا تنحصر شخصية الواحد منهم، في جانب معين من البطولة، كالسياسة أو الحرب وما إلى ذلك من مجالات الحياة... ولكنها قد تستوحذ على أكثر من جانب، وكلما تعددت جوانب تلك الشخصية، تفوق بها صاحبها على غيره من العظماء. والأمير عبد القادر لم تكن شخصيته ذات جانب سياسي أو عسكري أو اجتماعي أو ديني أو علمي أو أدبي، ولكنها كانت هؤلاء جميعا"[10].

إن أول قصيدة له دونت –كانت- حسب الأميرة بديعة الحسني الجزائري[11] في قصيدة شهداء معركة خنق النطاح، فقال فيها:

ألم تر في خنق النطاح، تطاحنا غداة التقينا، كم شجاع لهم هوى
وكم هامة، ذاك النهار قددتها بحد حسامي، والقنا طعنه شوى
وأشقر تحتى كلمته رماحهم مرارا ولم يشك الجوى وما التوى
بيوم قضى نحبه أخي فارتقى إلى جنان له فيها بني الرضا أوى

---

[9]- زكريا صيام ، مرجع سابق ، ص 287، 288.

[10]- زكريا صيام ، "الاصالة و التجديد في شعر الأمير عبد القادر" ، مجلة الثقافة ، عدد خاص 75 ، 1983 ، ص 291.

[11]-الأمير بديعة الحسن الجزائري ، فكر الأمير عبد القادر الجزائري ، الجزء الثالث ، دار الوعي، الجزائر، 2012،ص338 .

ومن بينهم حملته حين قضى وكم رمية كالنجم، من أفقه هوى

ها هو ذا يفتخر بما كان يمتاز به من علم وشجاعة، وأشاد بذلك قائلا[12]:

فنحن أكاليل الهدايا والعلى ومن نشر علياهم ذوي المجد قد طوى

ونحن لنا دين ودنيا تجمعا ولا فخر إلا ما لنا يرفع اللوى

فإن شئت عاما تلقني خير عالم وفي الروع أخباري غدت توهن القوى

ولنا سفن بحر الحديث به جرت وخاضت فطاب الورد ممن به ارتوى

وإن رمت فقه الأصبحي فعج على مجالسنا تشهد لداء العنا دوا

وإن شئت نحوا فانحنا تلق ماله غدا يذعن البصرى زهدا بما روى

ونحن سقينا البيض في كل معرك دماء العدا والسمر أسعرت الجوى

وأنا بنو الحرب العوان بها لنا سرور إذا قامت وشانئنا عوى

وذكر خلاله الحميدة وعلو همته وإقدامه، فقال:

لنا في كل مكرمة مجال ومن فوق السماك لنا رجال

ركبنا المكارم كل هول وخضنا أبحرا ولها زجال

إذا عنها تواني الغير عجزا فنحن الراحلون لها عجال

ورثنا سؤددا للعرب يبقى وما تبقى السماء ولا الجبال

ومنا لم يزل في كل عصر رجال للرجال هم االرجال

لقد شادوا المؤسس من قديم بهم ترقى المكارم والخصال

لهم همم سمت فوق الثريا حماة الدين دأبهم النظال

سلوا عنا الفرانس تخبركم ويصدق إذا حكت منها المقال

فكل لي فيهم من يوم حرب به افتخر الزمان ولا يزال

إن شعر الأمير أصدق تعبير عن حماسه وانصرافه الكلي للجهاد والمقاومة، وقد حدث أن أبدت زوجته قلقها عليه، فلما بلغه ذلك قال[13]:

[12]- عبد الحميد حاجيات ،" الأمير عبد القادر و انتاجه الادبي" ، مجلة التاريخ، 1983،ص 83 .

تسائلني أمّ البنين وإنها لأعلمُ من تحت السماء بأحوالي
ألم تعلمي يا ربّة الخدرِ أنني أجلّي همومَ القوم في يوم تجوال
وأغشى مضيق الموت لا متهيبا وأحمي نساء الحي في يوم تهوال
أمير إذا ما كان جيني مقبلا و موقد نار الحرب إذا لم يكن صالي
إذا ما لقيت الخيل إني لأول و إن جاء أصحابي فإني لها تالي
أدافع عنهم ما يخافون من ردى فيشكر كل الخلق من حسن أفعالي
و من عادة السادات بالجيش تحتمي و بي يحتمي جيشي و تحرس أبطالي
سلي عن جيش الفرنسيين تعلمي بان مناياهم بسيفي و عسالي
سلي الليل عني كم شققت أديمه على ضامر الجبين معتدل عالي
سلي البيد عني و المفاوز و الربى و سهلا و حزنا كم طويت بترحالي
فما همتي إلا مقارعة العدا و هزمي لأبطال شداد بأطالي
فلا تهزئي بي واعلمي أنني الذي أهاب و لو أصبحت تحت الثرى بالي

كذلك مدح الأمير أولئك الفرسان والجنود الذين قاموا معه جيش الاحتلال، وحاربوه بشجاعة وبسالة نادرتين، فقال عنهم[14]:

أفدي أناسا ليس يدعى غيرهم حاشا العصابة والطراز الأول
يكفيهم شرفا وفخرا باقيا حمل اللواء الهاشمي الأطول
إن غيرهم بالمال شح وماسخا جادوا ببذل النفس دون تعلل
الباذلون نفوسهم و نفيسهم في حب ملكنا العظيم الأجلل
الصابرون الصادقون لدى الوغى الحاملون لكل ما لم يحمل
النازلون بكل ضنك ضيق رغما على الأعدا بغير تهول
ما منهم إلا شجاع قارع أو بارع في كل شيء مجمل

---

[13] - عبد الحميد حاجيات ، مرجع سبق ذكره ، ص 84.

[14]- عبد الميد حاجيات ، مرجع سبق ذكره ، ص 85 .

كم جاهدوا كم طارحوا وتجلدوا للنائبات بصارم وبمقول
كم شردوا كم بددوا وتوعدوا تشتيت كل كتيبة بالصيقل
يل رب إنك في الجهاد أقمتهم فبكل خير عنهم فتفضل

ولقد مدح الأمير عبد القادر رجال العلم والصلاح، فوصف مزاياهم العلمية والدينية، وأعرب عن المودة التي يكنها لهم، فقال مثلا، مادحا الشيخ الصوفي محمد الفاسي الشاذلي[15]:

شمائله تغنيك إن رمت شاهدا هي الروض لكن شق أكمامه القطر
تضوع طيبا كل زهر بنشره فما المسك ما الكافور وما الندما العطر
وما حاتم قل لي وما حلم أحنف وما زهد إبراهيم أدهم ما الصبر
صفوح بغض الطرف عن كل زلة لهيبته ذل الغضنفر والنمر
ذليل لأهل الفقر لا عن مهانة عزيز ولا تيه لديه ولا كبر
حريص على هذي الخلائق جاهد رحيم بهم بر خبير له القدر
فذلك فضل الله يؤتيه من يشا وليس على ذي الفشل حصر ولا حجر
وذا وأبيك الفخر لا فخر من غدا وقد ملك الدنيا وساعده النصر

يوجه الأمير، وهو رهن الاعتقال بفرنسا، تهنئة لكاتبه قدور بن طويلة، بمناسبة إطلاق سراح هذا الأخير من الأسر، ووصوله إلى المدينة المنورة فيقول[16]:

أخي نلت الذي قد كنت تطلبه وفزت دوني بما ترجو وترغبه
وساعدتك الليالي لا شقيت قدوم قرير عين بوصل لست تسلبه
قد طاب في طيبة الغرا مقامكم جوار محبوبنا من كنت ترقبه
يا هل ترى مثلما فزتم أفوز وهل تعلو سعودي على نحسي فتقلبه

[15]- عبد الحميد حاجيات ، مرجع سبق ذكره ، ص 85.
[16]-عبد الحميد حاجيات، مرجع سبق ذكره، ص 86.

وبعد ابتكاره لتلك المدينة المتنقلة (الزمالة)، تقول الأميرة بديعة الحسني الجزائري[17]: بعدما أصبحت حصونه غير صالحة لأحد الطرفين المتقاتلين، من تناوب الاستيلاء عليها وبعد اكتمال تأسيس المدينة من الخيام، أراد الترفيه عن سكانها الذين ربما كانوا يفضلون السكن في البيوت الحجرية، من أهل وفرسان وقادة، بلغ عددهم في بداية إنشائها ستون ألفا بين رجل وامرأة وطفل، فنظم هذه القصيدة، وهي ليست مجرد أبيات شعرية، وإنما هي تراث إنساني، جمع بين روعة الأصالة، وبراعة التجديد بما امتلكه من ثروة لغوية هائلة وخيال خصب. فقالت الدكتورة نور سليمان، في مجال النقد، بكتابها (الأدب الجزائري)، شعر الأمير عبد القادر، أمير السيف والقلم، أكثر متانة من شعر معاصريه نظرا للثقافة الدينية واللغوية شعرية، وقال آخرون أن سر خلود أبيات الأمير أنها نبعت من خضم لغة (الضاد) الواسعة، لغة القرآن الكريم، فظهرت من خلالها فحولة الشعراء ورزانة الحكماء، والتراكيب المنبعثة من بيئة أجداده، فذكر في أحد أبياته، كلمات هي بحد ذاتها تراثا أدبيا عريقا فقال[18]:

وما كل شهم يدّعي السابق صادق إذا سبق للميدان بان له الخسر
وعند تجلي النقع يظهر من علا على ظهر جرد بل، ومن تحته حمر
وما كل من يعلو الجواد بفارس إذا ثار نقع الحرب والجو مغيّر
وما كل سيف ذا الفقار بحده ولا كل كرّار عليّا إذا كرّوا
وما كل طير طار في الجو فاتكا وما كل صياح إذا صرصر الصقر
فذلك فضل الله يأتيه من يشاء وليس على ذي الفضل حصر ولا حجر

وعلى هذا فإن الأبيات التي عرضناها تدل على أن الأمير عبد القادر لم يتوانى في مقاومة العدو الفرنسي، كما أن هناك أبياتا أخرى عبر من خلالها عن احترامه

[17]-الاميرة بديعة الحسني الجزائري ، فكر الأمير عبد القادر الجزائري ، ج3 ، مرجع سبق ذكره ، ص 338.

[18]- الأميرة بديعة الحسني الجزائري، **فكر الأمير عبد القادر الجزائري** ، ج3 ، مرجع سبق ذكره ، ص 339.

للصالحين من رجال العلم فأعرب عن المودة التي يكنها لهم، كما أنه عبر في أبيات أخرى عن شوقه إلى المدينة المنورة حيث مثوى نبينا محمد صل الله عليه وسلم.

قائمة المراجع:

1. زكرياء صيام، ديوان الأمير عبد القادر، ديوان المطبوعات الجامعية، لم يذكر مكان النشر، لم تذكر سنة النشر.
2. زكرياء صيام، "الأصالة والتجديد في شعر الأمير عبد القادر"، مجلة الثقافة، وزارة الثقافة، الجزائر، عدد خاص1983،75.
3. الأميرة بديعة الحسني الجزائري، فكر الأمير عبد القادر الجزائري، الجزء الثالث، دار الوعي، الجزائر، 2012.
4. عبد الحميد حاجيات،" الأمير عبد القادر و انتاجه الأدبي"، مجلة التاريخ، عدد خاص بالذكرى المئوية لوفاة الأمير عبد القادر، 1983.